مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب المجلد 10 العدد 2 أ، 2013، ص ص 1191- 1215

صورة كبار السنّ في أشعارهم
- دراسة في الشِّعر العربيّ القديم -

إسماعيل محمود القيّام *

ملخص

يُحاول هذا البحث أن يتبيّن صورة كبار السنّ في الشّعر العربيّ كما رآها كبار السنّ أنفُسُهم وكما صوّروها في أشعارهم، وقد اجتهد الباحث تمهيدًا للوقوف على معالم هذه الصورة في تجلية مسألة كِبَرِ السنّ (التعمير) في التراث العربيّ، وما رافق هذه المسألة من مبالغات في أعمار بعض الناس.

مدخل

وتناول البحث بالدراسة والتحليل أشعار كبار السنّ التي وصفوا فيها تلك المرحلة العمريّة من حياة الإنسان، واقتضت طبيعة البحث أن تُصنَّف أشعار هذه الصورة في جانبين: الأوّل (الجانب الجسميّ) وهو ذلك الجانب المتعلّق بما يُصيب الإنسان من أمراض وأسقام جسميّة، وما قد يصيبه من اختلاط العقل، وما يلاقيه أحيانًا من عقوق الأبناء ونقص الرعاية. والجانب الآخَر هو (الجانب النفسيّ) وهو ذلك الجانب الذي تمثّل بالآثار النفسيّة التي يعانيها كبير السنّ نتيجة عدد من العوامل كالجفاء والإعراض اللذين يقعان عليه. وكلّما ازدادت المعاناة في الجانب الأوّل (الجسميّ) كانت الآثار النفسيّة أكثر عمقًا في نفس الكبير، وأشدّ بروزًا في الصورة التي عكسها شعره في هذه المرحلة.

- **المعمَّرون في التراث العربيّ (الحقيقة والقَصص)**

حين تذكر كتب التراث العربيّ أنّ فلانًا قد عُمّر، ولا تذكر عدد السّنين التي عاشها هذا المُعمَّر، فإنّ قضيّة التعمير لا تثير في النفس شيئًا، من جهة أنّ المتلقّي يمكن له أن يتوقّع العمر الذي عاشه ذلك المعمَّر، وأن يقدِّر له – إن شاء – سنًّا معيّنة، في ضوء ما عرف وخبر عن أعمار المعمَّرين في زمانه، فربّما توقّع أنّه عاش نحو مئة سنة تزيد قليلا أو تنقص قليلا. ولكن عندما تذكر المصادر سنًّا محدّدة تزيد على ستين أو سبعين سنةً فوق

© جميع الحقوق محفوظة لجمعية كليات الآداب في الجامعات الأعضاء في اتحاد الجامعات العربية 2013.

* قسم اللغة العربيّة وآدابها ـ كليّة الآداب والفنون ـ جامعة فيلادلفيا، الأردن.

المئة، كأن تقول إنّ فلانا قد عاش مئة وثمانين سنة، أو مئتين وعشرين سنة، أو ثلاثمئة وستًّا وعشرين سنةً،... فإنّ مثل هذه الأرقام لا بدّ أن تستوقف الباحث لعدّة أسباب، منها أنّه هل من المعقول أن يعيش الإنسان هذا العدد من السنين؟ وإن كان قد عاش مثل هذا العدد في الأمم السابقة كما جاء في القرآن الكريم من ذكر نوح عليه السلام، ودعوته قومَه مدّة تسعمئة وخمسين سنة، فهل يمكن أن ينطبق هذا الأمر على الأمم التالية؟ ومن أين عرف الناس عمر المُعمّر بهذه الدقّة التي تذكرها المصادر؟

وقد أوردت المصادر الأدبيّة عددًا من هذه الأرقام عند ذِكر المُعمَّرين، وهم فيها على قسمين: الأوّل المعمّرون في الأزمان الأولى، كالخضر ونوح عليه السلام ولقمان بن عاديا[1]. ولا سبيل علميّةً للوقوف على حقيقة الأعمار التي ذُكرت للمعمَّرين في تلك الأزمان، غير أن شاهدًا واحدًا ورد في القرآن الكريم عن عمر نبيّ الله نوح عليه السلام، يؤيّد فكرة طول الأعمار هذه، فقد قال الله تعالى: " ولقد أرسلنا نوحًا إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما" [2]. وقد اختُلف في عمر نوح فقيل:" كان عمر نوح عليه السلام ألفًا وخمسين سنة، بُعث على رأس أربعين، ولبث في قومه تسعمئة وخمسين، وعاش بعد الطوفان ستّين. وعن وهب أنّه عاش ألفًا وأربعمئة سنة" [3]. ولعلّ الإنسان في تلك الأمم كان عمره الطبيعيّ نحوًا من عمر نوح والمعمّرين الذين ذُكروا بعده؛ إذ إنّه من المستبعد أن يعيش نوح هذه السنين يدعو أجيالا متتالية، يموت جيل ويأتي آخر وهو حيّ يدعو إلى الله، وإنّما الذي يقبله العقل أن يكون قد لبث في قومه أنفسهم - لا أحفادهم وأحفاد أحفادهم - داعيًا لهم. فقضيّة المخالفة في الأعمار، وأن يعيش إنسان في قوم يموتون ويتعاقبون عليه وهو حيّ، أمر لا يقبله العقل، ولا يمكن الركون إليه.

وأمّا القسم الآخَر من المعمَّرين الذين أوردت المصادر الأدبيّة لأعمارهم أرقامًا كبيرة (بين مئة وخمسين عامًا و خمسمئة عام) فهم الجاهليّون الذين عاشوا وماتوا في العصر الجاهليّ، أو المُخضرمون الذين عاشوا في الجاهليّة وبعد الإسلام. ولم يُذكر شيء عن اختلاف عمر الإنسان في تلك الحِقبة عن عمره في زماننا، ومع ذلك فقد وجدنا في بعض الروايات أعمارًا تبعث على الشكّ، ومن ذلك ما ذُكر عن عُمْر المُستَوغِر بن ربيعة، فقد قال السجستانيّ (ت250هـ): " قالوا: وعاش المستوغر بن ربيعة بن كعب ثلاثًا وثلاثين وثلاثمئة سنة، وقال قوم: بل ثلاثمئة وثلاثين سنة، وقال في ذلك:

ولقد سئمتُ من الحياة وطولِها وعَمِرتُ من عدد السنينَ مِئينا
مئـة حدَتْها بعـدها مـئتانِ لـي وعمِرتُ من عددالشهور سنـينـا
هـل ما بقَى[4] إلا كما قدفاتنـا يــومٌ يـمـرُّ ولـيـلـةٌ تـحـدونـا

وقال المفضّل: عاش زمانًا طويلا " [5].

وقال المرزبانيّ عن المستوغِر: " مات في صدر الإسلام، ويُقال إنّه عاش إلى أوّل أيّام معاوية وهو أحد المعمَّرين، يقال إنّه عاش ثلاثين وثلاثمئة سنة " [6]، ثمّ أورد المرزبانيّ حادثة تؤيّد تعمير المستوغر فقال: " يُروى أنّ المستوغر مرّ بعكاظ وعلى ظهره ابنُ ابنِه يحمله، فحمل شيخًا هرِمًا فأعيا من حمله، فوضعه بالأرض وقال: عنَّيْتني صغيرًا وكبيرا. فقال له رجل: يا عبد الله أتقول هذا لأبيك؟ فقال: أنا جدُّه. فقال الرجل: ما رأيت شيخًا أكذب لو كنت المستوغر بن ربيعة ما زدت. فقال: فأنا المستوغر بن ربيعة " [7].

ويبدو أنّ المستوغِر قد نال حظًّا من عناية القُصّاص والوُضّاع حتّى استوت حكاية تعميره على هذه الصورة التي رأينا، وأوّل ما يطالعنا من أثر الصّنعة في قصّته ما أورده السجستانيّ من الاختلاف في عمره على ثلاث سنوات، فمن قائلين بأنّه عاش ثلاثمئة وثلاثًا وثلاثين سنة إلى قائل بأنّه عاش ثلاثمئة وثلاثين سنة؛ فمن الذي يستطيع أن يُحدّد العمر بهذه الدقّة بعد تطاوُل الأمد؟ وكيف يكون الاختلاف في هذا العمر كلّه على ثلاث سنين فقط؟ بل إنّ هذا الاختلاف يبعث على الرّيبة أكثر ممّا يبعث على الاطمئنان؛ فنحن اليوم، وقد شهدنا هذا التطوُّر الكبير في وسائل الكتابة وتسجيل القيود، ما نزال نختلف في تحديد أعمار المسنّين أكثر من هذا الاختلاف، مع أنّ معمَّرينا لا يبلغون ثلث عمر المستوغر المذكور.

وأمّا قصّة دخول المستوغر سوقَ عكاظ حاملا حفيده على ظهره فالمبالغة تتجلّى فيها بأبهى صورها؛ فإذا صدّق العقل أن يعيش الجدّ حتّى يدرك حفيده شيخًا هرمًا فأنّى له أن يصدّق بقاء الجدّ قادرًا على حمل الحفيد الشيخ؟ ولماذا يحمل الجدّ حفيده ولو أسنّ الحفيد؟ ولماذا لا يحمل الحفيدَ أحدُ أولاده أو أحفاده؟ وإذا كان في القصّة نفسها ما يشير إلى توقير الأب وضرورة إجلاله، وذلك قول الرجل: (يا عبد الله أتقول هذا لأبيك؟)، أليس الجدّ أولى بالتوقير وأحرى ألا يقبل الحفيدُ أن يحمله جدُّه؟ ولو قبلنا –جدلا-

صحّة القصّة فإنّها لا تؤكّد تلك السنّ التي منحها القصص للمستوغر، فمئة وعشرون سنة كفيلة بأن تجعل للرجل حفيدًا هرمًا يبلغ من العمر أكثر من ثمانين عاما.

وهذا يُرجّح أن تكون الأبيات التي نُسبت إلى المستوغر مصنوعة لإثبات تعميره، لم يقلها المستوغر ولم يسمع بها، وإنّما وُضعت على لسانه، بما فيها من التصريح بالمئة بعدها المئتان وعدد الشهور، لتزيد القصّة بهاءً وقبولا لدى السامعين، ومعروف ما للشّعر من منزلة عالية لدى القُصّاص والحكّائين[8]، تساعد في قبول المتلقّي للنصّ، وحمله على الاطمئنان إليه. ومن أمثلة هذه الأبيات التي نُسبت إلى المستوغر ما رُوي عن عمر بن حممة الدّوسيّ من قوله بعد أن عاش ثلاثمئة وتسعين سنة[9]:

كبرتُ وطال العمر منّي كأنني ... سليمُ أفاعٍ ليلُه غيرُ مودع

فما السُّقم أبلاني ولكن تتابعت ... عليَّ سنونَ من مصيف ومربع

ثلاث مئينَ من السنينَ كتواملُ ... وها أنا هذا أرتجي مرَّ أربع

فأصبحتُ بين الفخِّ في العش ثاويًا ... إذا رام تَطياراً يُقال له قع

أخبِّرُ أخبار السنين التي مضت ... ولا بدّ يوماً أن يُطار بمصرعي

ويكتفي البحث بمناقشة قصّة المستوغر نموذجًا لكثير من قصص المعمَّرين التي وردت في المصادر الأدبيّة[10]، ويذهب الباحث إلى أنّ الأعمار التي ذُكرت لبعض المُعمّرين بين مئةٍ ومئةٍ وخمسين عامًا قد يصدُق بعضها، وقد يكون في بعضها الآخر شيء من مبالغة، ويُصدِّقُ ذلك أنّهم كانوا يرون، مثلما نرى، أنّ بلوغ الرجل سنّ الثمانين أو التسعين هو غايةٌ في الكِبَر ومبلغٌ عظيم منه، وذلك ما يُفهَم من قول زهير بن أبي سُلمى[11]:

سئِمتُ تكاليفَ الحياةِ ومن يعشْ ... ثمانينَ حولاً- لا أبا لكَ- يسأمِ

ومن قول عوف بن مُحَلِّم الخُزاعيّ[12]:

إنّ الثمانينَ – وبُلِّغتَها - ... قد أحوَجَتْ سَمعي إلى تَرجُمانِ

ويُفهم كذلك من مضمون هذه الرواية التي ذكرها الجاحظ بقوله: " دخل بعضُ أغشاث شعراءِ البَصريِّين على رجلٍ من أشراف الوجوه يُقال في نسَبِه[13]، فقال: إني مَدَحْتُكَ بشِعرٍ لم تُمْدَحْ قطُّ بشعرٍ هو أنفعُ لك منه، قال: ما أحْوَجَني إلى المنفعة، ولا سيَّما كلُّ شيء منه يخلدُ على الأيام، فهاتِ ما عندك، فقال:

سَأَلتُ عَنْ أَصْلِكَ فيما مضى أبناءَ تِسْعِين وقد نَيّفُوا
فكُلّهُمْ يُخبرُني أنّه مُهَذَّبٌ جَوْهَرُهُ يُعْرَفُ

فقال له: قمْ في لعنةِ اللّه وسَخَطِهِ! فَلَعَنَكَ اللّه ولعنَ مَنْ سَأَلْتَ ولعنَ من أجابك! "[14].

فذوو التسعين ومن زادوا عليها قليلا قد بلغوا الغايةَ في الكِبَر، يعُدُّهم الناس مراجعَ يمكن أن يطمئنّوا إليها في السؤال عن بعض ما يحتاجون إليه من التاريخ، ولو صدقوا في أنّ لديهم من هم أسنُّ من ذلك بثلاثة أضعاف لما كان يُعتدُّ بأقوال هؤلاء، بل ربّما عُدُّوا صِبْيةً لا يُلتفت إلى آرائهم.

وممّا يشهد لذلك ويعضُده أنّهم كانوا يعُدُّون مَن بلغ الثمانين والتسعين مُعمَّرًا، فمن ذلك قولُ المرزبانيّ في عمرو بن قميئة: " وكان في عصر مهلهل بن ربيعة، ويقول الشّعر، وعُمِّر حتّى جاوز التسعين "[15].

وأمّا ما ذُكر ممّا زاد من أعمار المعمَّرين على مئة وخمسين سنة فهو من باب الكذب والقَصص المثير، ولا يُؤخذ على حرفيّته، وإنّما يمكن أن يكون مؤشّرًا على أنّ ذلك المعمَّر قد بلغ من العمر مبلغًا كبيرا، فربّما تجاوز العشرين أو الثلاثين بعد المئة. وممّا يؤيّد ذلك قول الجاحظ: " وإنّ في الأعراب لأعمارًا أطول، على أنّ لهم في ذلك كذبًا كثيرا "[16].

ولا بأس في إيراد بعض هذه الروايات التي تنبئ عن قدرٍ كبير من الصناعة، فمن ذلك ما ذكره السجستانيّ[17] من أنّ رجلا اسمه ربيع بن ضَبُع قد عاش أربعين وثلاثمئة سنة، ولم يُسلم، وأنّه قال شعرًا لمّا بلغ مئتي سنة، وشعرًا لمّا بلغ مئتين وأربعين سنة، فمن شعره الذي قاله عندما بلغ المئتين والأربعين:

أصبحتُ لا أحملُ السِّلاحَ ولا أملكُ رأسَ البعيرِ إن نفَرا
والذِّئبَ أخشاه إن مررتُ به وحدي وأخشى الرِّياحَ والمطرا
من بعد ما قوّةٍ أُسرُّ بها أصبحتُ شيخًا أُعالجُ الكِبَرا

ولا نشكّ في أنّ هذه الأبيات لشيخٍ مُعمّر، ولكنّ الشكّ في أن يكون قد قالها في هذه السنّ التي مُنحت له؛ فهذه المظاهر التي ذُكرت في الأبيات لا تحتاج أن يبلغ الإنسان أكثر من السبعين أو الثمانين حتّى يدركها.

ومن ذلك أنّ ضُبَيْرة السّهميّ عاش مئتين وعشرين سنة، ولم يَشب شَيبةً قطّ، وأدرك الإسلام فلم يُسلم، وممّا قالته فيه نائحته بعد موته[18]:

مَن يأمن الحَدَثانِ بعـ دَ ضُبَيْرةَ السهميِّ ماتا
سبقت منيّتُهُ المشيـ بَ وكان ميتتُهُ افتلاتا
فتزوّدوا لا تهلِكوا مِن دونِ أهلكمُ خُفاتا

فالرجل لم يشب شيبةً قطّ! بل هو ممّن يُناح عليهم إشارةً إلى أنّه ما زال مرجوًا، بل لقد مات افتلاتًا أي بغتةً كما تقول النائحة!

وممّا يدخل في هذا البابِ من خرافات المعمّرين ما ورد من ظهور رجال، في المئة الرابعة للهجرة، كانوا معاصرين للنبيّ محمّد صلّى الله عليه وسلّم، وأنّهم أدركوا الخلفاء الراشدين، ثمّ ظهروا في الأندلس بعد نحوٍ من ثلاثة قرون، وماتوا فيها، قال المقّري التلمسانيّ: " ومن هذه الأكاذيب ما يذكرون عن أبي الحسن عليّ بن عثمان بن خطّاب، وأنه يعرف بأبي الدنيا، وأنه كان معمّرًا مشهورًا بصحبة عليّ بن أبي طالب، كرّم الله وجهه، وأنه رأى جماعة من كبار الصحابة رضي الله تعالى عنهم، ووصفهم بصفاتهم، وأنه رأى عائشة رضي الله عنها فيما زعم، وقدم قرطبة على المستنصر الحكم بن الناصر وهو ولي عهد، وسأله أبو بكر بن القوطية عن مغازي عليّ وكتبها عنه، وقد ذكره ابن بشْكُوال وغيره في كتبهم وتواريخهم، فقد ذكر الثقات العارفون بالفن أنّه كذّاب دجّال مائن جاهل، فإياك والاغترار بمثل ذلك مما يوجد في كتب كثير من المؤرّخين بالمشرق والأندلس، ولا يُلتفت إلى قول تميم بن محمد التميمي: إنه كان إذا لقيه ابن ثلاثمائة سنة وخمس سنين، قال تميم: واتصلت بنا وفاته ببلده في نحو سنة عشرين وثلاثمائة، وبالجملة فلا أصل له، وإنما ذكرناه للتنبيه عليه "[19].

- صورة كبار السنّ في أشعارهم

إنّ الباحث عن الأشعار التي وصف فيها كبارُ السنّ شيخوختَهم وصوّروا، من خلالها، أنفسَهم في كِبَرِهم، لا يجدها ضمن غرض من أغراض الشّعر العربيّ المعروفة؛ إذ لم يُعرف الحديث عن كبر السنّ ومظاهره غرضًا أساسيًّا من أغراض الشّعر، كالمديح والوصف والرّثاء والهجاء والوصف وغيرها، ولكنّه في الوقت نفسه كان حاضرًا في كثير من القصائد، ولا سيّما القصائد التي أنشأها الشعراء بعد أن كبروا وشاخوا، لذلك فإنّ على الباحث عن هذه الأشعار أن يختلف إلى كثير من الدواوين الشّعريّة التي هي مظِنّة هذه

الأشعار، مع أنّه لا يَعدِم أن يجد شيئًا منها تحت غرض الحِكمة في الشعر العربيّ، وشيئًا آخَر في المصادر الأدبيّة التي تحدّثت عن المُعمَّرين، وفي كتب التراجم والأعلام.

وقد تضمّنت بعض قصائد كبار السنّ والمعمّرين، التي جُمعت في هذا البحث، وصفًا لهذه المرحلة العمريّة التي جاءتهم أو جاؤوا إليها بعد أن نضِجت خبرتهم في الحياة، واكتملت أدواتهم المعرفيّة والفنيّة، ثمّ أصبحت تُنتقص، في هذه المرحلة، من كلّ جانب، فلم يجدوا بدًا من أن يُسجّلوا، بالشّعر، نظرتَهم إلى أنفسهم وإلى هذه المرحلة التي يعيشون. وقد اتّفق كثير من كبار السنّ في نظرتهم إلى الشيخوخة والكِبَر، واتّفقوا كذلك في تصوير ما آلت إليه حالهم من خير أو شر، واختلف بعضهم عن بعض أحيانا في تلكما النظرة والتصوير؛ وذلك لاختلاف النظرة إلى هذه المرحلة العمريّة بين إنسان وآخَر، واختلاف الأحوال النفسيّة والاجتماعيّة من كبير إلى آخر.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن تُصنَّف هذه الصورة التي رسمها كبار السنّ لأنفسهم في جانبين: الأوّل (الجانب الجسميّ) وهو ذلك الجانب المتعلّق بما يُصيب الإنسان من أمراض وأسقام جسميّة، وما قد يصيبه من اختلاط العقل، وما يلاقيه أحيانًا من عقوق الأبناء ونقص الرعاية. والجانب الآخَر هو (الجانب النفسيّ) وهو ذلك الجانب الذي تمثّل بالآثار النفسيّة التي يعانيها كبير السنّ نتيجة عدد من العوامل كالجفاء والإعراض اللذين يقعان عليه، وكلّما ازدادت المعاناة في الجانب الأوّل (الجسميّ) كانت الآثار النفسيّة أكثر عمقًا في نفس الكبير، وأشدّ بروزًا في الصورة التي عكسها شعره في هذه المرحلة.

ومن البديهيّ ألاّ يفصل كبيرُ السنّ صاحبُ النصّ بين هذين الجانبين في القصيدة الواحدة، وإنّما تقتضي طبيعة الحياة أن يُصاب الإنسان بأمراض الشيخوخة وعوارضها، فيتأثّر نفسيًّا نتيجةً لذلك، ثمّ يمتزج في القصيدة ذِكرُ أمراض الجسم والعقل مع ذِكر الآثار النفسيّة الناجمة عن تلك الأمراض. ولهذا فإنّ الباحث بين خيارين في تناول هذين الجانبين؛ فإمّا أن يتمّ تناولهما من خلال شواهد كلّ قضيّة من قضاياهما منفردةً عن الأخرى، وبذلك تُجتَزأ النصوص وتُمزّق، وتُنتزع الشواهد (البيت أو الأبيات الشعريّة) من سياقاتها التي وضعتها فيها التجربة الشعوريّة. وإمّا أن تُتناول القضايا مجتمعةً من خلال الدراسة المتكاملة للنصّ الشعريّ، وعندئذٍ يغيب التصنيف ويختلط التحليل بعضه ببعض.

ولذلك فإنّ الجمع بين الطريقتين مع المَيْل إلى التصنيف، على ما في ذلك من صعوبة، قد يكون أعمّ نفعًا وأكثر جدوًى، وذلك بأن يُعتمدَ التصنيف الذي أشرنا إليه من قسمة الصورة قسمين: أحدهما جسميّ، والآخر نفسيّ، ودراسة ما يندرج تحت كلّ قسم من أشعار، مع الإبقاء فيه على الشّواهد التي تمثّل القسم الآخر إذا لم يحتمل سياقُ النصّ البترَ والتوقُّف.

- الجانب الجسميّ

يتضمّن هذا الجانب قراءةً في ما قدّمه كبار السنّ من معاناتهم الجسميّة المتمثّلة بمقاساة الأوجاع وآلام الشيخوخة وأمراضها، وما يجدونه في أجسادهم من تغيُّر الملامح، وضعف القدرة الجسميّة، وعقوق الأبناء.

أولاً- معاناة المرض (صورة العمى)

من أبرز أمراض الشيخوخة ضعف البصر أو انعدامه وما يعانيه كبار السنّ نتيجة ذلك، فقد صوّر الأسودُ بن يَعْفُر النَّهشليّ[20] حالتَه حين أسنّ وكُفّ بصره، إذ النّاسُ ينامون وهو مهموم لا يُحسّ بطعم النّوم، ذلك أنّه لم يعد يهتدي إلى المواضع التي كان يعرفها، ولا يستطيع الآن معرفتها أو تمييزها، وكأنّما ضُربت السدود بينه وبين الناس والمواضع، فقال[21]:

نامَ الخَلِيُّ وما أُحِسُّ رُقادِي ... والهَمُّ مُحتَضِرٌ لَدَيَّ وِسادِي

مِنْ غَيْرِ ما سَقَمٍ ولكنْ شَفَّنِي ... هَمُّ أَرَاهُ قد أصابَ فُؤَادِي

ومنَ الحَوادِثِ، لا أبا لكِ، أنّني ... ضُرِبَتْ عليَّ الأَرضُ بالأَسْدَادِ

لا أهْتَدِي فيها لِمَوْضِعِ تَلْعَةٍ ... بينَ العِراقِ وبين أَرْضِ مُرَادِ

فالشاعر قد نالت منه حوادث الدّهر بما أصابه من العمى؛ إذ هو، وإن أصبح لا يستطيع رؤية الأشياء والمواضع، يمكنه رؤية شيء واحد هو الهمّ، ذلك الرّفيق الذي انضمّ إليه في هذه المرحلة، لذلك فقد استحضر ذِكره مرّتين الأولى بقوله: (والهَمُّ مُحتَضِرٌ لَدَيَّ وِسادِي)، والأخرى بقوله: (هَمُّ أَرَاهُ قد أصابَ فُؤَادِي)، فهو يُصرّ على استخدام فعل الرؤية في هذا الموضع خاصّةً، دون غيره من أفعال الحواسّ ليؤكّد حجم الهمّ الذي يلاقيه نتيجة عماه.

ثمّ ينتقل الشاعر بزوجته إلى ماضيه، محاولاً الهروب من واقعه المرير إلى أيّام الشباب ولذاذته، مذكّرًا إيّاها بما كان من قوّته وبذله، ومن ذلك قوله[22]:

إمّا تَرَيْنِي قَدْ بَلِيتُ وغاضَنِي ... ما نِيلَ مِن بَصَرِي ومن أجْلادِي
وعَصَيْتُ أصحابَ الصَّبابَةِ والصِّبا ... وأطَعْتُ عَاذِلَتِي ولانَ قِيادِي
فلقد أرُوحُ على التِّجارِ مُرَجَّلا ... مَذِلاً بِمالِي لَيِّنًا أجْيادِي
ولَقدْ لَهَوْتُ ولِلشَّبابِ لَذَاذَةٌ ... بِسُلافَةٍ مُزِجَتْ بماءِ غَوادِي

ثانيًا – تغيُّر الملامح وضعف الجسم

ممّا جاء من شكوى كبار السنّ في حال المرض والضّعف شكوى النّمر بن تَوْلَب من تغيّر ملامح جسمه بفضول الجِلْد (التجعُّدات)، وضعف القدرة على القيام والمشي والنّجدة والرّماية، فقال[23]:

لَعَمْري! لقد أنكَرْتُ نَفْسي ورابَني ... معَ الشّيْبِ أبدالي التي أتَبَدّلُ
فُضُولُ أرَاهَا في أدِيمِيَ بَعْدمَا ... يَكُونُ كَفَافُ اللّحْمِ، أو هُوَ أفْضَلُ
كَأنّ مِحَطًّا في يَدَيْ حَارِثِيّة ... صَنَاعٍ عَلَتْ مِنّي بِهِ الجِلدَ من علُ
وَظِلْعي ولم أُكْسَرْ، وإنّ ظَعِينَتي ... تَلُفُّ بَنِيها في البِجَادِ، وأُعْزَلُ
بَطِيءٌ عَنِ الدّاعي، فَلَسْتُ بِآخِذٍ ... سِلاحي إلَيْهِ مثلَ ما كُنْتُ أفْعَلُ
يُرَدُّ الفَتَى بَعْدَ اعْتِدَالٍ وَصِحّةٍ ... يَنُوءُ إذا رامَ القِيامَ، وَيَحْمِلُ
وقدكُنْتُ لا تُشوي سِهَامِيَ رَمْيَةً، ... فَقَدْ جَعَلَتْ تُشوي سِهامي وَتَنْصِلُ

فقد جرت عادة الشعراء أن تُنكرهم النساء، وأن ينكرهم من حولهم، كما قال الأعشى[24]:

فأنكرَتْني وما كان الذي نكِرتْ ... من الحوادث إلا الشّيبَ والصّلعا

أمّا أن يُنكر الإنسان نفسَه ويرتاب منها، فهذا من أغرب ما في هذا الباب؛ فقد أقسم الشاعر أنّه أنكر نفسَه لِما رأى من مشيبه وتغيُّر ملامح وجهه وجسمه، والتجعّدات التي ظهرت في جلده، كأنّ امرأةً حارثيّةً ماهرةً نقشتها في جسمه نقشا. وقد رافق ذلك ضعفٌ في الجسم؛ إذ أصبح مشيه ظَلَعًا من غير كسر، وهبّته لنجدة الملهوف صارت ضعيفة من بعد قوّة، وصار قيامه من جلوسه ثقيلا، كما أنّ سهمه يُخطئ عند الرّمي.

ولم يغب عن بال النّمر بن تولب في كلّ ذلك أن يقارن حاله التي يصفها اليوم بحاله أيّام الشّباب، ففضول الجلد (في الحاضر) يقابله كفاف اللحم، أي امتلاء الجلد باللحم (في الماضي). والبطء عن الدّعاة (في الحاضر) يقابله السرعة في حمل السّلاح، وهو ما كان يفعله (في الماضي). والخطأ في الرّماية، وعدم القدرة عليها (في الحاضر) يقابله دقّة الإصابة (في الماضي).

ومن هنا كان الزمن هو العنصر الأساسيّ البارز عندما يتحدّث كبار السنّ عن مرحلة الشيخوخة، فما أسرع هربهم من الحاضر إلى الماضي! وما أمرّ صورة الحاضر وألذّ صورة الماضي! وهذه سِمةٌ من السِّمات البارزة في أشعار كبار السنّ، كأنّما يحاولون باستحضار صورة الماضي تعويضَ نقص الحاضر الذي يعيشون، والتشبُّث بصور القوّة والقدرة، لعلّهم يدفعون عن أنفسهم بعضَ ما يعرفونه بحكم الخبرة والتجربة من صور التهميش والإقصاء التي يأخذ المجتمع في ممارستها على المُسنّ. وقد رأينا، عمّا قليل، الأسودَ بن يعفر يفرّ من حاضره إلى ماضيه، وسيظهر في بقيّة البحث كثيرٌ من الشواهد على هذه الظّاهرة.

ثالثًا- عقوق الأبناء

شكا أميّة بن أبي الصّلت عقوق ابنه بأبيات جميلة، صوّر فيها عاطفةً أبويّةً صادقة، وجفاءً قوبلت به تلك العاطفة، مستعيدًا ما قدّمه لابنه في صغره، وما قابله الابنُ به من العقوق عندما شبّ وكبِر، ومن مظاهر هذا العقوق أنّ ابنه جعل يُغلظ له في المعاملة، ولا يقبل له رأيًا بحجّة كبر سنّ الأب، مع أنّ أباه لم يُكمل الستّين من عمره، فقال أميّة مخاطبًا ابنه[25]:

غـذوتُـكَ مولودًا وعُلتك يافعًا ... تَعُلُّ بما أُحني عليك وتَنهلُ
إذا ليـلةٌ نابتْكَ بالشكْو لم أبتْ ... لشـكواك إلا سـاهـرًا أتـملـملُ
كـأنّي أنا المطروق دونك بالذي ... طُرقْتَ به دوني وعيناي تـهمُـلُ
تَخافُ الرّدى نَفسي عَلَيكَ وَإِنّني ... لأعلَمُ أنّ الموتَ حَـتـمٌ مُـؤَجّـلُ
فـلـمّا بـلغْتَ السِنّ والغايةَ التي ... إلـيـها مـدى ما كنتُ منك أؤمّلُ
جـعـلْـتَ جزائي غلظةً وفظاظةً ... كـأنّـك أنـت المنعِمُ المتـفضّـلُ
فـليتـك إذ لـم ترع حـقّ أبـوّتـي ... فعلتَ كما الجارُ المجاور يفعلُ

زَعَمتَ بأَنّي قد كَبِرتُ وَعِبتَني ولَم يَمضِ لي في السِنِّ سِتونَ كُمَّلُ
وسمَّيتني باسْمِ المفنَّدِ رأيُه وفي رأيك التفنيدُ لو كنت تعقلُ

ومما يُلاحَظ في هذه الأبيات أنّ الأب، مع ما قوبل به من جفاء ابنه وسوء معاملته، لم يُغيّر من عاطفته؛ فقد عدّد فضائله التي قدّمها لابنه، وذكر مظاهر عقوقه، ولم يقسُ عليه بدعاء أو سَبّ سوى قوله (وفي رأيك التفنيدُ لو كنت تعقلُ) وهي عبارة لا تعادل شيئًا من أشكال العقوق التي ذكرها الأب. ولعلّ مردّ ذلك إلى عاطفة الأبوّة التي تحول دون القدرة على القسوة، أو إلى طمع الأب في رجوع ابنه عن عقوقه أملا في نفع قادم، خاصّةً أنّ الأب ما زال على مشارف الشيخوخة، وسيحتاج من ابنه الكثير في أيّامه المقبلة.

وأسجّلُ هنا أنّي قد اجتهدتُ في البحث عن شعر للنساء في وصف شيخوختهنّ وكبر السنّ عندهنّ فلم أعثر إلا على نصّ واحد، وهذا لا يعني أنّ المرأة العربيّة لم تصف بالشعر كِبرَ سنّها، وإنّما يرجع ذلك إلى قلّة ما دُوّن من أشعار النساء مقارنةً بأشعار الرّجال، ولا مجال هنا لتفصيل أسباب ذلك[26]. والنصّ الذي عثرتُ عليه كان في عقوق الأبناء قالته أمّ ثَوابٍ الهِزّانيّةُ في ابنها[27]:

ربّيتُه وهو مثلُ الفرخ أعظَمُهُ أمُّ الطَّعامِ ترى في جلدِهِ زَغَبا[28]
حتّى إذا آضَ كالفُحّالِ شذّبه أبّارُه ونفى عن متنِه الكَرَبا[29]
أنشا يُخرِّق أثوابي ويضربُني أبعد ستّينَ عندي يبتغي الأدبا
إنّي لأُبصِرُ في ترجيل لِمّتِهِ وخطّ لحيته في وجهِهِ عَجَبا
قالت له عرسه يوماً لتُسمعني: رِفقًا فإنّ لنا في أمّنا أربا
ولو رأتنيَ في نارٍ مُسعَّرةٍ من الجحيمِ لزادت فوقها حَطَبا

فقد قارنت الأمُّ حال ابنها إذ تربّيه في صغره، وهو كالفرخ الوليد همُّه طعامُه، بحاله وقد شبّ واخشوشن وصار كذكر النّخل المشذّب، فبدأ عند ذلك يضربها تأديبا. وقيمة هذه الأبيات تكمن في نظرة الأمّ إلى أسباب عقوق ابنها؛ إذ هي، في الأغلب الأعمّ، تُرجع عقوقه إلى تأثير زوجته عليه، حتّى عندما تسمع بأذنها نُصح كَنّتها لولدها كي يرفُق بأمّه، هي لا تصدّق ذلك، بل هي تعُدُّه تمثيلاً عليها وتحسينًا لصورة الزوجة، أمّا الحقيقة، كما ترى الأمّ، فهي أنّ الكَنّة لن تبخل عليها بالمزيد ما استطاعت إلى ذلك سبيلا. ولم نر هذه

النّظرة إلى زوجة الابن عندما شكا أميّة بن أبي الصّلت عقوقَ ابنه؛ بل لقد أرجع سبب عقوق الابن إلى عقله حين قال: (وفي رأيك التفنيدُ لو كنت تعقلُ).

وفي مقابل هذا العقوق، فقد أثنى بعض كبار السنّ على أبنائهم ونساء أبنائهم لما قدّموا لهم من رعاية عند الكِبر، فقال ربيع بن ضَبُع وقد أسنّ[30]:

ألا أبـلِـغ بَنـيَّ بـني رَبـيـعٍ ... فأشـرارُ البـنينِ لكـم فِداءُ

فإنّي قد كبرتُ ودقّ عظمي ... فـلا تشـغلْكمُ عنّي النّساءُ

وإنّ كنـائـني لَـنسـاءُ صِدقٍ ... وما آلى بَنيَّ وما أساءوا[31]

- الجانب النفسيّ

تمثّل الجانب النفسيّ في عدد من الآثار النفسيّة التي ظهرت في أشعار كبار السنّ، ومن أبرزها: جفاء المرأة وإعراضها، والملل من الحياة والحرص عليها، والإحساس بالموت، وبكاء الشّباب وذمّ الشيب، والاعتزاز بالشيخوخة.

أولاً- الجفاء والإعراض (العجز والمرأة)

يظهر في كثير من أشعار المعمّرين أنّ أشدّ المعاناة كانت تتمثّل عندهم، في المقام الأوّل، بإعراض النساء عنهم، وجفوتهنّ لهم، والمرأةُ هنا قد تكون زوجة الرجل، وقد تكون خليلته، وقد تكون المرأةَ من حيث هي الجنس الآخَر الذي لم يعد يصبو إلى كبار السنّ، ولا يلتفت إلا إلى الشباب.

فأشعارهم تصوّر الهزيمة النفسيّة التي تلحق بالمسنّ نتيجة إعراض المرأة عنه، وقد تتخذ هذه الهزيمة في الشعر ألوانًا شتّى، فمنها الاعتراف بالعجز والهزيمة، ومنها استحضار الماضي وما فيه من فروسيّة وقدرةٍ على ردع الخصم وقهره، وما فيها من مغامرات العشق واللهو مع النساء لإثبات الذات وصدّ العجز الحاضر.

فهذا عَبيد بن الأبرص قد بدأت امرأته الإعراض عنه، وأظهرت له التكبُّر والنّفور، فقال[32]:

ألا عتَبَت عليَّ اليومَ عِرسي ... وقد هبّـت بليـــلٍ تشتكيـني

فقالت لي كَبِرتَ فقلتُ حقًّا ... لقد أخلقتُ حينًا بعد حينِ

تُريني آيـةَ الإعراض منـــها ... وقطّت في المقالة بعد لينِ[33]

ومطَّت حاجِبيها أن رأتني ... كبِرتُ وأن قد ابيضّت قُروني[34]

فقلتُ لها رُوَيدَكِ بعضَ عَتْبي ... فإنّي لا أرى أن تزدهيني[35]

وعِيشي بالّذي يُغنيكِ حتّى ... إذا ما شئتِ أن تنأيْ فبِيني

فإن يكُ فاتني أسفًا شبابي ... وأضحى الرأس منّي كاللَّجين[36]

وكان اللهوُ حالفني زمانًا ... فأضحى اليومَ منقطِعَ القرينِ

فقد ألِجُ الخباءَ على عَذارى ... كأنّ عيونَهنّ عيونُ عِينِ[37]

يملِئْنَ عليَّ بالأقرابِ طَورًا ... وبالأجيادِ كالرِّيطِ المَصونِ[38]

فقد تناول عبيد قضيّة إعراض امرأته عنه في الأبيات العشرة السابقة، جاعلاً الأبيات الأربعة الأولى لوصف ملامح الإعراض، والأبيات الأربعة الأخيرة لوصف تقبُّل النساء الجميلات له أيّامَ الشّباب، وبين الإعراض والإقبال أعلن عن موقفه في بيتي الوسط، إذ نصح لزوجته ألا تتكبّر عليه، وأن تعيش معه ما رضيت، فإن شاءت مغادرته فلها ذلك.

وقد أظهر عبيد لامرأته أنّه غير مُبالٍ بإعراضها عنه، ففي مغامراته القديمة ما يُعوّض معاناة الحاضر

فإن يكُ فاتني أسفًا شبابي ← فقد ألِجُ الخِباءَ على عذارى...

يَملِئنَ عليَّ بالأقرابِ طورًا...

غير أنّه في واقع الأمر يحاول اجتذابها بكلّ الوسائل؛ فهو يتغنّى، على مسمعها، بالماضي ولكن بالأفعال المضارعة (أَلِجُ، يملئنَ)، ليجعل تلك الصّورة الباليةَ في الحقيقة، والماثلةَ في نظر زوجته، مستمرّةً في نفسه، مُتخيّلَةً في نفس الزّوجة، لعلّها تغيّر من سلوكها معه، على أنّه يدرك متيقّنًا أنّه لا يستطيع أن يعود إلى ذلك الماضي، لقوله في قصيدة أخرى[39]:

حبستُ فيها صِحابي كي أسائلَها ... والدّمعُ قد بلَّ منّي جيبَ سِربالي

شوقًا إلى الحيِّ أيّام الجميعُ بها ... وكيفَ يطرب أو يشتاقُ أمثالي

وقد علا لِمّتي شيبٌ فودّعني ... منه الغواني وداعَ الصّارمِ القالي

وممّا بدا من تأثير إعراض المرأة عن زوجها ما شكا منه النّمر بن تولب بقوله[40]:

وَظَلَعي ولم أُكْسَرْ، وإنّ ظَعِينَتي ... تَلُفُّ بَنِيها في البِجادِ، وأُعْزَلُ

فقد تـأثّر الشـاعر شـديدَ التـأثُّر لمّـا رأى زوجتـه تهتمّ بأبنائهـا ولا تلتفت إليـه، فهـي تُغطّيهم وهو معزول جانبًا، فلم تُعِنه على ما يُعاني من آلام الكِبر التي أصبح بسببها يظلع بلا كسر، حتّى عزلته عن الفراش الذي تنام وأولادَها فيه. ولم تكن امرأتـه وحـدها بين النسـاء قد جفته، بل إنّ الفتيات اللواتي يلقاهنّ خارج بيتـه يُشـعرنَه بـالكِبر، ويُؤذينـه بالاسـم الـذي يناديـنه به، فأفصح عن ذلك بقوله[41]:

دَعَاني الغَوَاني عَمَّهُنَ، وخِلتُني لـيَ اسمٌ، فَمَا أُدْعَى بِهِ وَهُوَ أَوَّلُ

فأسلوب النداء الذي يُنادى به الكبير (يا عمّ)، وإن كان لطيفًا غيرَ فظّ، يُثير في نفس المسنِ الألم والحسرة، ويجرحه جرحًا نرجسيًّا، بحسب تعبير آمال قرامي[42]، ممّا يعمّق إحساسه بوطأة الشيخوخة؛ إذ إنّ أسلوب النداء هذا يحول بين الرجل والمرأة، فكأنّها تقول له: أنت رجلٌ كبيرٌ مُسنّ، فانصرف عني فلن أنظر إليك إلا كما تنظر المرأة إلى عمّها أو أبيها. والفتاة قد تهزأ بالكبير إذا ما نظر إليها غير هذه النّظرة، كما قال عبد الله بن سَلِمة الغامديّ [43]:

على ما أنّها هزئت وقالت: هنونَ، أجُنَّ؟ مَنشأ ذا قريبُ

أي: يا قوم هل جُنّ هذا الرجل؟ فعهدي به غير ذلك، فحاول الشاعر أن يعتزّ بكِبَر سنّه، وأنّ شيبه من متطلّبات هذه المرحلة العمريّة التي لا بدّ أن يُلاقيها الصّغار أيضا فقال:

فإن تشِب القرونُ فذاكَ عصرٌ وعاقبةُ الأصاغرِ أن يَشيبوا

ومهما يكن الأمر، فقد استنكر النّمر بن تولب هذا النداء، وأبدى سخريته منه، وذلك بقوله: (وخِلتُني ليَ اسمٌ)، وقوله: (فَمَا أُدْعَى بِهِ وَهُوَ أَوّلُ)، فاسمه الأوّل أولى بأن يُنادى به لأوليّته على الأقلّ.

والذي يلفت البحثُ النّظر إليه هنا هو أنّ أكثر الشعراء قد توقّف عند موضوع المرأة وأثرها في معاناته النفسيّة عند كبره؛ إذ بدت صورة المرأة (الزوجة) قاتمةً في أشعار كبار السنّ؛ فهي تتنكّر لزوجها وتُنكِره، وتُغلِظُ له في القول، وتُعنى بنفسها وبأبنائها وتهمله، ... إلخ. فهل هذه هي الصورة الحقيقيّة للمرأة أو أنّ الشعراء قد تجنّوا عليها في أشعارهم؟ ولو أنّه قُدِّر للمرأة العربيّة أن تُسجِّل بالشّعر حالها عند الكِبر، أو لو أنّ كتب الأدب ودواوينه حفظت لنا أشعار النساء في كبرهنّ إن كُنّ سجّلْنَ شيئًا من ذلك، فماذا عسانا نجد

المرأة قائلةً في شكواها من الرجل في تلك المرحلة؟ لعلّها تشكو من بقائها شريكةً للرجل إن شاخ وكبر، والرجل قد يشارك أخرى إن كبرت زوجته.

والذي يظهر للباحث أنّ أزواج الشعراء المذكورات في أشعار كبار السنّ هنّ من النساء اللواتي تزوّجهنّ الشعراء صِغارًا وهم كبار؛ فالمرأة تُنكر على زوجها كِبَرَه، ولا يُنكر مُسِنٌّ على مُسِنّ، وهي تزدهي بنفسها وتتكبّر عليه، وهذه من مظاهر الشباب لا مظاهر الشّيب، وهي ذاتُ أبناءٍ صغار ما زالت تلفّهم في الغطاء، ممّا يدلّ على حداثة عهدها بالزواج. وكلّ هذه الصفات والأفعال تُشير إلى أنّ المرأة ما زالت صغيرة، وقد شاب زوجها وشاخ، وليس معقولاً أن يشيخ الرجل وتبقى زوجته الأولى على هذه الصفات الشبابيّة.

فالمألوف في الثقافة العربيّة أن ينفر الشيخُ المُسنّ من امرأته الكبيرة، وأن يميل إلى التزوّج من شابّة تحفظ صحّته وتجدّد شبابه[44]، غير أنّه ما يلبثُ أن يكتشف بأنّ هذه الشابّة التي قبلت زواجه لأسباب متنوّعة، كالقرابة أو الطمع في المال أو نقص الخبرة في الحياة، تشرع تمارس عليه فِعلَ الإقصاء والتهميش اللذين مارسهما على زوجته المُسنّة، وتطالبه بما لا يستطيع، فتصبح " أزمته نتيجة ذلك مُضاعفة: أزمة فقدان القوّة الجنسيّة وأزمة مواجهة الزوجة"[45].

ثانيًا- الملل من الحياة والحِرص عليها

أ. المَلَل

عكست أشعار بعض كبار السنّ في كثير من الأحيان ضيقَهم بالحياة، ومللهم من طولها، فقد أعلن ذلك لبيد بن ربيعة الذي تقول كثير من الروايات إنّه عاش نحوًا من مئة وخمسة وأربعين عاما[46]، فقال بيته المشهور، وقد سئم الحياة، وملّ سؤال النّاس عن حاله[47]:

ولقد سئمتُ من الحياة وطولها وسؤالِ هذا النّاسِ: كيف لبيدُ؟

فقد ملّ الحياة وملّ أسئلة الناس عن حاله، مع أنّ النّاس يسألون عنه ويطمئنّون عليه، لكنّه ربّما ملّ كلّ شيء ومن ذلك سؤال الناس، وربّما استشعر في هذا السؤال إنكارًا من الناس لطول عمره، فكأنّ سؤالهم قد تحوّل، في تقدير لبيد ونظره، من سؤال المطمئنّ المشتاق، إلى سؤال من ينتظر موته، فكأنّ السائل يقول: ألم يمت لبيد؟

وممّا ورد على ألسنة كبار السنّ في السأم من الحياة وطول العيش، ما جاء على سبيل الحكمة من قول النابغة الذّبيانيّ[48]:

المرءُ يَهوى أن يعيـ شَ وطولُ عيشٍ قد يضرُّه
تَفْنى بشاشتُهُ ويَبْـ قى بعد حُلْوِ العيش مُرّه
وتضرّه الأَيامُ حتَّى لا يرى شيئاً يَسُرُّه

ب. الحِرص

وفي مقابل الملل من الحياة فقد أكّد بعض الشعراء أنّ الكبير يتمسّك بالحياة، ويزداد تعلُّقه بها، مع ما يلاقيه في تلك الحياة من عناء وتعب، فهذا الحُطيئة يصوِّر حاله في شيخوخته، وأثر تلك الحال على نفسه، فيقول باكيًا لحاله التي أمسى عليها متحسِّرًا على أيّام شبابه [49]:

وقد قالت أمامةُ هلْ تعزّى فقلتُ أُميمَ قد غُلبَ العزاءُ
إذا ما العينُ فاض الدمعُ منها أقولُ بها قذًى وهو البكاءُ
لعمرُك ما رأيتُ المرءَ تبقى طريقتُهُ وإن طالَ البقاءُ
على ريبِ المنونِ تداولتهُ فأفنتْهُ وليس لها فَنَاءُ
إذا ذهبَ الشبابُ فبانَ منهُ فليسَ لما مضى منه لقاءُ

ثمّ يُعلن بعد ذلك أنّ كبير السنّ يعشق الحياة ويشتهيها، فيقول:

يصبُّ إلى الحياةِ ويشتهيها وفي طولِ الحياةِ له عَناءُ

ويبيِّن من صور هذا التّعب والعناء ما يعانيه الكبير من انحناء الظّهر وصعوبة القيام، وما يحتاج إليه عند المشي والانتقال؛ فبعيره يجب أن يُقاد به لأنّه لا يملك أن يصرفه إذا ألمّ به شيء، وهو نفسُه يمشي بخطًى متقاربة، يقوده صبيّ ويحمل ثوبه:

فمنها أنْ يُقادَ بهِ بعيرُ ذلولٌ حين تهترشُ الضِّراءُ
ومنها أن ينوءَ على يديه وينهضَ في تراقيه انحناءُ
ويأخذه الهِداجُ إذا هداهُ وَليدُ الحيِّ في يده الرِّداءُ

ويصف حالة اختلاط العقل عند الكبير، ومخالفته النّاسَ في بدهيّات الأمور:

ويحلفُ حَلفةً لبني بنيه لأمسَوا مُعطشينَ وهُمْ رِواءُ
ويأمرُ بالجِمالِ فلا تُعشّى إذا أمسى وإن قَرُبَ العَشاءُ

ثـمّ إنّ المُسـنّ، يحتـاج إلـى رعايـةٍ خاصّـة، مـن دِفـءٍ فـي الشـتاء، وملابـس خفيفـة فـي الصّيف:

إذا كـان الشتـاء فأدفئوني فإنّ الشيخَ يهدمُهُ الشّتـاءُ

وأما حيـن يذهبُ كـلُّ قَـرٍّ فسِربـالٌ خفيـفٌ أو رِداء

ومع هـذه المطالب كلّها التي يحتـاج إليها كبيـر السـنّ، كما رأى الحطيئـة، فإنّ المرأة تقابله بالجفاء، وتطلب إليه البعد عنها:

تقولُ لـه الظعيـنةُ أغنِ عنّي بعيـرَكَ حيـنَ ليس بـهِ غَناءُ

فقد رسم الحطيئة صورةً مُتعَبَةً لحال المُسنّ، ومع ذلك فهو يشتهي الحياة ولا يملّها.

ثالثًا - الإحساس بالموت

كثيرًا ما أبدى كبار السنّ من الشعراء إحساسهم بدنوّ الأجل وانتهاء الحياة، وصرّحوا بذلك في كثير من المواضع، كقول عبْدةَ بنِ الطّبيب[50]:

ولقد عَلِمْتُ بأنّ قَصْرِيَ حُفْرَةٌ غَبْراءُ يَحْمِلني إليها شَرْجَعُ[51]

فبَكَى بَنَاتِي شَجْوَهُنّ وزَوْجَتِي والأَقْرَبُونَ إِليَّ، ثُـمَّ تَصدّعُوا

وتُرِكْتُ في غَبْراءَ يُكْرَهُ وِرْدُها تَسْفِي عَلَيَّ الرِّيحُ حِينَ أُوَدَّعُ

وقال الأسود بن يَعفُر النهشليّ[52]:

ولقد علمتُ سِوَى الذي نَبَّأْتِني أنّ السَّبِيلَ سبيلُ ذِي الأَعْوَادِ

إنّ المَنِيّـَةَ والحُتُـوفَ كِلاهُما يُوفِي المخَارِمَ يَرْقُبانِ سَوادِي

لـن يرضيا منّي وفاء رهينةٍ من دون نفسي طارفي وتِلادي

وقد أحسنّ لبيد بن ربيعة بدنوّ الأجل، فأوصى أبناءه بما يجب على كـلٍّ منهم أن يقـوم به بعد موته، فقال مخاطبًا ابنه[53]:

وَإِذا دَفَنتَ أباكَ فَاجِـ عَل فَوقَهُ خَشَباً وَطينا

وَصَفَائِحاً صُمّاً رَوا سيها يُسَدِّدنَ الغُضونا

لِيَقينَ وَجهَ المَرءِ سَفـ سافَ التُرابِ وَلَن يَقينا

فالابن من واجبه أن يقوم على دفن أبيه لذلك أوصاه بهذه الوصيّة المؤثّرة، أمّا ابنتاه فقد أوصاهما بما يتلاءم وطبيعتهما، وما يمكن أن تقوما به تجاه أبيهما بعد موته، فقال[54]:

تمنّى ابنتاي أن يعيش أبوهما ... وهل أنا إلاّ من ربيعةَ أو مضرْ
فقوما فقولا بالّذي قد علمتما ... ولا تخمشا وجهاً ولا تحلقا شعَرْ
وقولا هو المرء الّذي لا خليلَه ... أضاع ولا خان الصّديق ولا غدرْ
إلى الحول ثمّ اسمُ السّلام عليكما ... ومن يبك حولاً كاملاً فقد اعتذرْ

فلبيد بعد كلّ السنين التي عاش، وبعدما سئم من طول الحياة، يسعى إلى البقاء والخلود، طالبًا من ابنتيه أن تذكراه بما يُخلّد ذكراه، وبما يجعل حياته تمتدّ عامًا على الأقلّ، من خلال بكاء ابنتيه وتعدادهما مناقبه حولاً كاملا، وفي كلّ ذلك بحث عن الخلود المفقود، وفيه تأييد لما بيّنه الحطيئة، قبل قليل، من شهوة الكبير إلى الحياة، وإن كانت هذه الشهوة عند لبيد تتّخذ صورةً أخرى.

وقد كان شعور كبار السنّ بدنوّ الأجل أحدَ البواعث التي أنتجت شِعر الوصايا والحِكَم، إذ رأى كبار السنّ أنّ لديهم من خبرة الحياة وتجاربها ما يمكن أن ينتفع به أبناؤهم وأقوامهم، فلم يبخلوا عليهم بتلك الوصايا التي كوّنت، بعد ذلك، ما عُرف بشِعر الحِكمة. ومن هذه الوصايا ما جاء في قصيدة عبد قيس بن خُفاف يوصي ابنه[55]:

أجُبَيْلُ إنّ أباكَ كارَبَ يَوْمُهُ ... فإذَا دُعِيتَ إلى العَظائِمِ فاعْجَلِ
أُوصِيكَ إيصاءَ امْرِىءٍ لكَ ناصِحٍ ... طَبِنٍ بِرَيْبِ الدّهْرِ غيرِ مُغفَّلِ
اللّهَ فاتّقِهِ و أوْفِ بِنذْرِهِ ... وإذَا حَلَفْتَ مُمارِيًا فَتَحَلَّلِ
والضّيفَ أكْرِمْهُ فإنّ مَبِيتَهُ ... حَقٌ ، ولا تَكُ لُعْنَةً لِلنُّزّلِ
واعلَمْ بأنّ الضيفَ مُخْبِرُ أهْلِهِ ... بِمَبيتِ لَيلتِهِ وإنْ لم يُسْأَلِ
وإذا افْتَقَرْتَ فلاَ تَكُنْ مُتَخشّعًا ... تَرْجُو الفَواضِلَ عندَ غيرِ المُفْضِلِ
واسْتَغْنِ ما أغْناكَ رَبُّكَ بالغِنى ... وإذَا تُصِبْك خَصاصَةٌ فَتَجَمَّلِ
وإذا تَشاجَرَ في فُؤادِكَ مَرّةً ... أمْرانِ فاعْمِدْ لِلأَعَفِّ الأَجْمَلِ

وكلّها معانٍ جليلة، وآداب رفيعة، ومثلها في ذلك قصيدة عبْدة بن الطّبيب، ومنها قوله[56]:

أبَنِيَّ إنِّي قد كَبِرْتُ ورَابَنِي ... بَصَرِي، وفِيَّ لِمُصْلِحٍ مُسْتَمْتَعُ
ونَصِيحَةٌ في الصَّدْرِ صَادِرَةٌ لكم ... ما دُمْتُ أُبْصِرُ في الرِّجالِ وأَسْمَعُ

أُوصيكُمُ بتُقى الإلـهِ فَإنَّهُ يُعْطِي الرَّغائِبَ مَنْ يَشَاءُ ويَمْنَعُ
وببِرِّ وَالِدِكُمْ وطاعةِ أمرِهِ إنَّ الأَبَرَّ مِن البَنِينَ الأَطْوَعُ
إنَّ الكَبِيرَ إذا عَصاهُ أَهْلُهُ ضَاقَتْ يَدَاهُ بأَمرِهِ ما يَصْنَعُ

رابعًا ـ بكاء الشّباب وذمّ الشّيب:

استحضر كثير من الشعراء عند كبرهم أيّامَ شبابهم، وبكوا حالهم التي صاروا إليها، وذمُّوا الشّيب الذي هو علامةُ هذه الحال، فقال سلامة بن جندل السعديّ [57]:

أَوْدى الشَّبابُ حَمِيدًا ذُو التَّعاجِيبِ أَوْدَى وذلكَ شَأْوٌ غَيْرُ مَطْلُوبِ
ولَّى حَثِيثًا وهذا الشَّيْبُ يَطْلُبُهُ لو كان يُدْرِكُهُ رَكْضُ اليَعاقِيبِ
أَوْدَى الشَّبابُ الَّذِي مَجْدٌ عَوَاقِبُهُ فيهِ نَلَذُّ، ولا لَذَّاتِ لِلشَّيْبِ

وقال المُزَرِّدُ بن ضِرار الذّبيانيّ[58]:

فلا مَرْحبًا بالشَّيْبِ مِن وَفْدِ زَائرٍ متى يَأْتِ لا تُحْجَبْ عليه المَداخِلُ
وسَقْيًا لِرَيْعَانِ الشَّبابِ فإنَّهُ أَخو ثِقَةٍ في الدَّهْرِ إذْ أنا جاهِلُ

خامسًا- الاعتزاز بالشيخوخة:

وقف بعض الشعراء من كِبر سنّه موقفًا مختلفًا عن موقف كثير من الشعراء؛ فلم يبكِ شبابه، ولم يبكِ لكبره، ولم يُبدِ ضَعفًا أو استعطافًا لمن حوله، بل أدرك أنّ هذه السنّ التي أدركها هي مرحلة طبيعيّة لا بدّ لكلّ إنسان، إن عاش، أن يدركها. وقد مرّ بنا من هؤلاء الشعراء عبد الله بن سَلِمة الغامديّ الذي قال[59]:

فإن تشِب القرونُ فذاكَ عصرٌ وعاقبةُ الأصاغرِ أن يَشيبوا

ومنهم كذلك المَرّارُ بن مُنقِذ الذي يقول[60]:

عَجَبٌ خَوْلَةُ إذْ تُنْكِرُنى أم رأتْ خولةُ شيخاً قد كَبِرْ
وكَساهُ الدَّهرُ سِبًّا ناصِعًا وتَحَنَّى الظَّهرُ منهُ فأُطِرْ
إنْ تَرَيْ شَيبًا فإنِّي ماجِدٌ ذو بلاَءٍ حَسَنٍ غَيْرُ غُمُرْ
ما أنا اليومَ على شيءٍ مَضى يا ابْنَةَ القوم تَولَّى بِحَسِرْ

خاتمة

لقد رسم كبار السنّ من الشعراء العرب صورةً جليّةً وواضحةً، في أشعارهم، لما آلت إليه حالهم في مرحلة الشيخوخة، فبيّنوا ما أصاب أجسامهم من ضعف ومرض، وصوّروا مظاهر هذا الضعف بأنواعه المتعدّدة، وتوقّفوا وقفاتٍ مطوّلةً عند الآثار النفسيّة التي ألحقها بهم المجتمع، ولا سيّما أقرب الناس منهم كالأبناء والأزواج.

وقد توقّف أكثر الشعراء عند الأذى النفسيّ الناجم عن الهزيمة التي يُحسُّ بها الشاعر بسبب إعراض النساء عنه، وجفوتهنّ له، ممّا أفقد بعض الشعراء لذّة الحياة، وألجأهم إلى تفضيل الموت والزوال على حياةٍ أصبح فيها شيئًا من سَقَط المتاع.

The Picture of the Elderly in Their Own Poetry: A Study in Classical Arabic Poetry

Ismael Algayam, *Assistant Professor - Philadelphia University.*

Abstract

This research tries to investigate the picture of elderly in classical Arabic poetry as they themselves see it and picture it in their poetry.

The researcher tackled this issue to determine the features of this picture in clarifying the issue of aging in the Arab heritage, and the exaggerations associated with the ages of some people.

This research paper studied and analyzed the elderly own poems describing this stage of the human life span.

The research classified these poems into two categories, namely, the physical facet, which deals with illnesses and diseases afflicting the human body as well as mental disorder and recalcitrant children and lack of care they might show to the elderly.

The other facet is the psychological one which is represented by the psychological effects befalling the elderly as a result of a number of factors such as alienation and estrangement.

The more physical suffering is inflected on the elderly, the deeper the psychological hurt and the more evident the picture is rereflected at this stage.

قدم البحث للنشر في 2011/2/23 وقبل في 2011/7/27

الهوامش

[1]. يُنظر: السجستانيّ، أبو حاتم سهل بن محمّد، المُعمَّرون والوصايا، تحقيق: عبد المنعم عامر، دار إحياء الكتب المصريّة، مصر، 1961، ص 3-9. ولقمان المذكور هنا هو غير لقمان الحكيم الذي كان على عهد النبيّ داود. (عن محقّق كتاب المعمَّرون والوصايا، ص4 حاشية رقم"1") .

[2]. العنكبوت، الآية 14.

[3]. الزمخشري، محمود بن عمر، الكشّاف، تحقيق: مصطفى حسين أحمد، دار الكتاب العربي، بيروت، 1986، ج3/ص445، ويُنظر: المعمّرون والوصايا للسجستاني: ص4، وعنده أنّه عاش ألفًا وأربعمئة سنة.

[4]. بَقَى لغةٌ في بقِيَ. (عن السجستانيّ، المعمّرون والوصايا، ص12) .

[5]. المعمّرون والوصايا، ص 12.

[6]. المرزبانيّ، أبو عبيد الله محمد بن عمران، معجم الشعراء، تحقيق: ف. كرنكو، دار الجيل، بيروت، ط1، 1991، ص26.

[7]. معجم الشعراء، ص26.

[8] . يُنظر: الأسد، ناصر الدين، مصادر الشعر الجاهليّ وقيمتها التاريخيّة، ط9 (نشرة جديدة)، دار الفتح للدراسات والنشر، عمّان، 2010، ص 262 ـ 268.

[9]. معجم الشعراء، ص 21.

[10]. يُنظر: المعمرون والوصايا، ص12، ومعجم الشعراء، ص20.

[11]. ابن أبي سُلمى، زهير، ديوانه، ص25.

[12]. القالي، أبو علي إسماعيل بن القاسم، الأمالي، ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1996، ج1/ ص50.

[13]. أي يُطعَن فيه.

[14]. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، الحيوان، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت، ج5/ ص177.

[15]. معجم الشعراء، ص 9.

[16]. الحيوان، ج1/ ص 157.

[17]. المعمرون والوصايا، ص 9.

[18]. المعمرون والوصايا، ص25.

[19]. المقّري التلمساني، أحمد بن محمد، نفح الطّيب من غصن الأندلس الرّطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1988، مجلّد 3/ ص11.

[20]. هو أحد الشعراء الجاهليّين العُشي (أعشى بني نهشل).

[21]. الضبّي، المفضّل بن محمد، المفضّليّات، ط6، تحقيق: أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، بيروت، د.ت، ص216-218، القصيدة رقم (44).

[22]. المفضّليّات، ص216-218.

[23]. القُرشيّ، أبو زيد محمد بن أبي الخطّاب، جمهرة أشعار العرب في الجاهليّة والإسلام، تحقيق: علي محمّد البجاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنّشر، القاهرة، د.ت: ص 421 ـ 425.

[24]. الأعشى، ميمون بن قيس، ديوان الأعشى، تحقيق: محمد محمد حسين، مكتبة الآداب بالجماميز، د.ت، ص101، قصيدة رقم (13).

[25]. الحَديثي، بهجة عبد الغفور، أميّة ابن أبي الصّلت حياته وشعره (دراسة وتحقيق)، ط2، دار الشؤون الثقافيّة العامّة، بغداد، 1991، ص354.

[26]. يُنظر في ذلك: ماردِيني، رغداء، شواعر الجاهليّة، ط1، دار الفكر بدمشق ودار الفكر المعاصر ببيروت، 2002. (مقدمة عزّ الدين إسماعيل، ص13-16).

[27]. المبرّد، أبو العباس محمد بن يزيد، الكامل، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت، ج1/ ص239. ويُنظر: شواعر الجاهليّة، ص211.

[28]. أمّ الطعام: حوصلة الطّائر التي يجتمع فيها الطعام.

[29]. آض: صار. والفُحّال: ذكَر النّخل. والأبّار: الذي يُصلح النّخل ويقوم على تلقيحه. والكَرَب: أصول أعذاق النّخل التي تُترك كالأوتاد ليُرتَقى بها.

[30]. المعمَّرون والوصايا، ص9.

[31]. توهّم محقّق كتاب (المعمرون والوصايا) عندما شرح معنى (الكنائن) في هذا البيت، فقال في الحاشية رقم (4)، من ص 9: " الكِنّ بالكسر وِقاء كلّ شيء وستره، والكنائن جمع كنانة، وهي جَعبة السِّهام تُصنع من الجلد". والصحيح أنّ المقصود بالكنائن هنا أزواج الأبناء؛ لأنّ الكَنّة (بفتح الكاف) امرأة الابن أو الأخ، وجمعها كنائن. (يُنظر: القاموس المحيط "مادة كنن")، وهذا هو المعنى المناسب ـ كما يبدو من النصّ ـ لكلمة (الكنائن) في البيت.

[32]. عَبيد بن الأبرص، ديوانه، تحقيق: تشارلز لايل، تقديم: محمد عوني عبد الرؤوف، دار الكتب والوثائق القوميّة، القاهرة، 2009، ص 44 ـ 45. ويُنظر: ابن الشّجري، أبو السعادات هبة الله، مختارات ابن الشجري، ط2، تقديم: علي الخاقاني، دار العلم للجميع، سورية، د.ت، قِسم 2/ ص41، ولعَبيد قصيدة أخرى في الموضوع نفسه تتشابه أبياتها إلى حدٍّ كبير مع هذه الأبيات حيث يقول (ديوانه: ص37، ومختارات ابن الشجري، قِسم 2/ ص50-52) :

تلكَ عِرسي أمست تَميزُ حِلالي ... أَلِبَيْنٍ تريدُ أم لِلدلالِ

إن يكن طِبُّكِ الدّلالُ فلو في ... سالف الدّهر والليالي الخوالي

ذاك إذ أنتِ كالمهاةِ وإذ آ ... تيكِ نَشْوانَ مُرخيًا أذيالي

أو يكن طِبُّكِ الزِّيالُ فإنّ الـ ... ـبَيْنَ أن تعطفي صدورَ الجِمالِ

زعمَتْ أنّني قد كبرتُ وأنّي ... قلّ مالي وضنّ عنّي الموالي

وصحا باطلي وأصبحتُ كهلاً ... لا يُؤاتي أمثالَها أمثالي

أن رأتني تغيّرَ اللّونُ منّي ... وعلا الشّيبُ مَفرِقي وقذالي

فارفضي العاذلين واقنَي حياءً ... لا يكونوا عليكِ خطّ مثالِ

ودعي مطّ حاجبيكِ وعيشي ... معنا بالرجاء والتأمالِ

وبحظٍّ ممّا نعيش ولا تذ ... هبْ بك التّرّهاتُ في الأهوالِ
منهُمُ مُمسكٌ ومنهمْ عديمٌ ... وبخيلٌ عليكِ في بُخَالِ
درّ درُّ الشّبابِ والشّعَرِ الأسـ ... ودِ والرّاتكاتِ تحتَ الرِّحالِ
ولقد أدخلُ الخِباءَ على مهـ ... ضومة الكشْحِ طفلةٍ كالغزالِ
فتعاطيتُ جيدَها ثمّ مالت ... مَيَلانَ الكثيبِ بين الرّمالِ
ثمّ قالت فدًى لنفسكَ نفسي ... وفداءٌ لمالك مالي

[33]. قطّت: أغلظت.
[34]. مطّت حاجبيها: أي تكبّرت.
[35]. تزدهيني: تستخفّي بي.
[36]. اللّجين: زبَد أفواه الإبل، شبّه به الشّيب.
[37]. عِين: جمع عَيناء، وهي بقرة الوحش.
[38]. الأقراب: الخواصر، والرّيط: جمع ريطة وهي العباءة والثوب الليّن الرقيق.
[39]. ديوان عَبيد بن الأبرص: ص23. ويُنظر: مختارات ابن الشّجري: ص45.
[40]. جمهرة أشعار العرب في الجاهليّة والإسلام، ص423.
[41]. جمهرة أشعار العرب في الجاهليّة والإسلام، ص424.
[42]. قرامي، آمال، الاختلاف في الثقافة العربيّة الإسلاميّة؛ دراسة جندريّة، ط1، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2007، ص 835.
[43]. المفضّليات، ص103، المفضّلية رقم (18).
[44]. الاختلاف في الثقافة العربيّة الإسلاميّة؛ دراسة جندريّة، ص 824.
[45]. الاختلاف في الثقافة العربيّة الإسلاميّة؛ دراسة جندريّة، ص 835.
[46]. الأصفهانيّ، أبو الفرج علي بن الحسين: الأغاني، ط3، تحقيق: إحسان عبّاس وآخَرَين، دار صادر، بيروت، 2008، ج15/ ص247.
[47]. ابن ربيعة، لبيد، شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامريّ، تحقيق: إحسان عبّاس، وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت، 1962، ص35.
[48]. الذبيانيّ، ديوان النابغة الذبياني، ط2، تحقيق: عباس عبد الساتر، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1986، ص122. ويُنظر: جمهرة أشعار العرب في الجاهليّة والإسلام، ص76. والزجّاجي، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق، أمالي الزجّاجي، ط2، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، 1987، ص111.
[49]. الحطيئة، جرول بن أوس، ديوان الحطيئة بشرح ابن السكّيت والسكّري والسجستاني، تحقيق: نعمان أمين طه، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1958، ص 109 ـ 115.
[50]. المفضّليات، ص148، القصيدة رقم (27).
[51]. شرجع: خشب كالسرير يُحمل عليه الميت.
[52]. المفضّليات، ص216-218، القصيدة رقم (44).

[53]. ديوان لبيد بن ربيعة العامريّ، ص325.
[54]. ديوان لبيد بن ربيعة العامريّ، ص213 ـ214.
[55]. المفضّليّات، ص 384، القصيدة رقم (116).
[56]. المفضّليات، ص148، القصيدة رقم (27).
[57]. المفضّليات، ص119، القصيدة رقم (22).
[58]. المفضّليات، ص94، القصيدة رقم (17).
[59]. المفضّليات، ص103، القصيدة رقم (18).
[60]. المفضّليات، ص82، القصيدة رقم (16).

المصادر والمراجع:

ابن الأبرص، عبيد، **ديوان عبيد بن الأبرص**، تحقيق: تشارلز لايل، تقديم: محمد عوني عبد الرؤوف، دار الكتب والوثائق القوميّة، القاهرة، 2009.

الأسد، ناصر الدّين، **مصادر الشعر الجاهليّ وقيمتها التاريخيّة**، ط9 (نشرة جديدة موسّعة ومُنقّحة)، دار الفتح للدراسات والنشر، عمّان، 2010.

الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين، **الأغاني**، ط3، تحقيق: إحسان عبّاس وإبراهيم السّعافين وبكر عبّاس، دار صادر، بيروت، 2008، ج15/ ص247.

الأعشى، ميمون بن قيس، **ديوان الأعشى**، تحقيق: محمد محمد حسين، مكتبة الآداب بالجماميز، د.ت.

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، **الحيوان**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

الحديثي، بهجة عبد الغفور، **أميّة ابن أبي الصّلت حياته وشعره** (دراسة وتحقيق)، ط2، دار الشؤون الثقافيّة العامّة، بغداد، 1991.

الحُطيئة، جرول بن أوس، **ديوان الحطيئة** بشرح ابن السكّيت والسكّري والسجستاني، تحقيق: نعمان أمين طه، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1958.

الذبياني، النّابغة، **ديوان النابغة الذبياني**، ط2، تحقيق: عباس عبد الساتر، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1986.

ابن ربيعة، لبيد، **شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامريّ**، تحقيق: إحسان عبّاس، وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت، 1962.

الزجّاجي، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق، **أمالي الزجّاجي**، ط2، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، 1987.

الزمخشري، محمود بن عمر، **الكشّاف**، تحقيق: مصطفى حسين أحمد، دار الكتاب العربي، بيروت، 1986.

السجستاني، أبو حاتم سهل بن محمد، **المعمّرون والوصايا**، تحقيق: عبد المنعم عامر، دار إحياء الكتب العربيّة، مصر، 1961.

ابن الشجري، أبو السعادات هبة الله، **مختارات ابن الشجري**، ط2، تقديم: علي الخاقاني، دار العلم للجميع، سورية، د.ت.

الضبّي، المفضّل بن محمد، **المفضّليّات**، ط6، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، بيروت، د.ت.

القالي، أبو علي إسماعيل بن القاسم، **الأمالي**، ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1996.

قرامي، آمال، **الاختلاف في الثقافة العربيّة الإسلاميّة؛ دراسة جندريّة**، ط1، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2007، ص 835.

القرشيّ، أبو زيد محمد بن أبي الخطّاب، **جمهرة أشعار العرب في الجاهليّة والإسلام**، تحقيق: علي محمّد البجاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنّشر، القاهرة، د.ت.

ماردیني، رغداء، **شواعر الجاهليّة**، ط1، دار الفكر بدمشق ودار الفكر المعاصر ببيروت، 2002.

المبرّد، أبو العباس محمد بن يزيد، **الكامل**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت.

المرزباني، أبو عبيد الله محمد بن عمران، **معجم الشعراء**، ط1، صحّحه وعلّق عليه: ف. كرنكو، دار الجيل، بيروت، 1991.

المقّري، أحمد بن محمد التلمساني، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرّطيب**، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1988.